﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشّعراء: 224 - 227]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قَبْلَها:

الانتقالُ منَ الكُهّان أدعياءِ الغيبِ إلى الشُّعراء زعماءِ الغِوايَة

بعد أن ذَكرتِ الآياتُ السّابقة تنزُّل الشَّياطين على الأفّاكين منَ الكَهَنةِ، وبيّنت أنَّ صنيعَهم ودعاويهم قائمةٌ على الكَذِب استعانةً بالشَّياطين، ناسبَ بعد ذلك أن ينتقل إلى بيانِ نوعٍ آخَر منَ الذين يفترون على الحقِّ، وهم غالبُ الشَّعراءِ الذين يتَّبِعُهُمُ الغاوون، فاجتمع في الكَهَنة الذين يلبسون لبوسَ الدّيانة، ويَدّعون معرفةَ الغيب، والشّعراءِ الذين يعتمدون على ذكائِهم اللّغويّ في قلب الحقائقِ وإثارةِ الغرائزِ وتحريكِ المشاعر أمران: المعنى الباطلُ والكذبُ الواضحُ، واللّفظُ المُنمَّقُ والأسلوبُ المُحَسَّن؛ والنّاسُ ما بين مائلٍ إلى المعاني، ومائلٍ إلى الألفاظ والمباني، فاجتمع في ذِكْر هَذَين الصّنفين أساليبُ الباطلِ في مجابهة الحقِّ، وبه تكتمل دائرةُ بيانِ أعداء القرآن.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلْغَاوُۥنَ﴾: (غوي) أصلٌ يَدُلُّ على خِلافِ الرُّشْدِ، وإظْلامِ الأَمرِ[1]، فالغَواية: الضَّلال واتِّباع الهوى والانهماكُ في الباطل، ورَجُلٌ غاوٍ وغَوٍ وغَوِيٌّ وغَيّان: ضالٌّ؛ وأَغْواه هو، وغوى غيًّا: انهمكَ في الجَهل، وخلافُهُ: الرُّشد[2]، والغَيُّ: جَهْلٌ منِ اعتقاد فاسد[3]، والمقصود

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (غوي).
(2) الخليل، العين، وابن عبّاد، المحيط في اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (غوي).
(3) الرّاغب، المفردات: (غوي).

بالغاوين في قول الله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾: جمع غاوٍ، وهو المُتَّصِفُ بالغَيِّ والغَوايةُ، وهي الضَّلالةُ الشَّديدةُ، والمعنى: (يَتَّبعُهُم أهلُ الضَّلالةِ والبِطالَةِ، الرّاغبونَ في الفِسْقِ والأذى)[1].

2) ﴿يَهِيمُونَ﴾: (هيم) أصلٌ يدُلُّ على عَطَشٍ شَديدٍ، فالهَيَمانُ: العَطَشُ، والهَيْمُ: الإبلُ العِطاشُ، والهيمُ أيضًا: الرِّمالُ الَّتي تَبتلِعُ الماءَ، والهُيامُ: داءٌ يَأْخُذُ الإبِلَ عِنْدَ عَطَشِها فتَهيمُ في الأَرْضِ لا تَرْعَوي[2]، والهُيّامُ: المَوَسْوِسون، ورَجُلٌ هائِمٌ وهَيومٌ، والهُيومُ: أَن يذهبَ على وجْهِه، وقَدْ هامَ يَهيمُ هُيامًا، واسْتُهيمَ فُؤادُه، فهوَ مُسْتَهامُ الفُؤاد، أَيْ: مُذْهَبُه[3]، والمُراد بالهُيام في قول الله تعالى: ﴿فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ الحَيْرَةُ والتَّردُّدُ في المَرْعى[4].

3) ﴿مُنقَلَبٍ﴾: (قلب) أصلٌ يدُلُّ على رَدِّ شيءٍ من جهةٍ إلى جهةٍ، تقول: قَلَبْتُ الثَّوبَ قَلْبًا[5]، والانْقِلابُ: الرُّجوعُ مُطْلَقًا، والانقلابُ إلى اللهِ ﷻ: المصيرُ إليه، والتَّحوُّلُ؛ وقد قَلَبه اللهُ إليه[6]، والمُنقَلَبُ يكونُ مكانًا، ويكونُ مصدرًا، مِثلُ المُنْصَرَف[7]؛ وهو أيضًا: مَصيرُ العِبادِ إلى الآخرةِ[8]. والمُرادُ بالمُنْقَلَب في قول الله تعالى: ﴿أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾: المصيرُ والمآلُ[9].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

شعراءُ المشركين غـواةٌ، وشعـراءُ المسلمين هُداة

بيَّنتِ الآياتُ مسالكَ الشّعراء في تَصرَفات القول، وأنّ قولَهم مخالفٌ لظاهر أحوالِهم، وأنّهم من غوايتهم يتبعُهُم أمثالُهم منَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 208.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (هيم).
(3) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (هيم).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 209.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قلب).
(6) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (قلب).
(7) الجوهريّ، الصّحاح، وابن منظور، لسان العرب: (قلب).
(8) ابن عبّاد، المحيط في اللّغة، والزّبيديّ، تاج العروس: (قلب).
(9) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 213.

الغاوين، وأنّهم لا يتعفَّفون من النّسيب بالحرام والغَزَل، والابتهارِ وتمزيقِ الأعراضِ، والقدحِ في الأنساب، والوعدِ الكاذب، والافتخارِ الباطل، ومدحِ مَن لا يستحِقُّهُ، والإطراءِ فيه، باستثناء شعراء المسلمين الذين يعملون الصّالحات، ويَذْكُرون اللّهَ على الدّوام، وينتصرون ممّن هجاهم من شعراء المشركين.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نوعُ واوِ ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ﴾ ودلالتُها:

احتمالُ الواوِ للاستئنافِ والعطف

الواو في أوّل قول الله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ تحتمل أن تكون استئنافيَّةً؛ وغرضُ الجملة إبطالُ ما قيل في حقِّ القرآن العظيم، من أنَّه مِن قبيل الشّعر، وأنَّ رسولَ الله ﷺ منَ الشُّعراء، ببيان حالِ الشُّعراء المُنافية لحاله ﷺ[1]، وتحتمل أن تكون عاطفةً، لما بينَ الشّعر والكَهانة من جامع - في خيال المشركين المخاطبَين بهذه الآيات -، فقد كانوا يدّعون أنّ للشّاعر شيطانًا يُملي عليه الشّعرَ، وربما سَمّوه الرَّئيّ؛ ولذلك حَسُن عطفُ قولِه تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ على قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾، كما عُطف مثلُه في قوله تعالى من سورة الحاقّة: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحاقّة: 41 - 42][2]؛ فالعطفُ لتمام انتفاء تنزّل الشّياطين بالقرآن على النّبيّ ﷺ.

غرضُ تقديمِ المسنَد إليه ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ﴾:

ما كان عليه مَدارُ الكلامُ قُدِّم لبيانِ حاله

قُدِّم المُسندُ إليه ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ﴾ على الخبر الفعليِّ ﴿يَتَّبِعُهُمُ﴾ في قول الله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾؛ للاهتمام بالمُقدَّم، وتقويةِ الحُكْم، فالمقصودُ: نفيُ الشِّعرِ عنِ القرآن؛ ببيان أنَّ طريقةَ الشّعراء منافيةٌ لطريقة النَّبيِّ ﷺ، فكان تقديمُ لفظِ ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ﴾

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 269.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 207.

– الذي هو مقصِد السّياق – أولى من تقديم الفعل، وليس التّقديم للاختصاص، فالسّياق في غنًى عنِ القول بالحصر[1]، لا سيَّما أنَّ الغاوين يتّبعون الشّعراءَ وغيرَهم.

نُكْتَةُ مجيءِ المُسند ﴿يَتَّبِعُهُمُ﴾ فعلًا مضارعًا:

لِشُعراءِ الغِوايَة أتباعٌ من طلّاب الغِوايَة

آثَرَ النّظمُ التّعبيرَ بصيغة المضارع ﴿يَتَّبِعُهُمُ﴾ في قول الله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾؛ لإفادة التَّجدُّد، أي: كلَّما وُجِد شعراءُ غاوون، وُجدَ لهم أتباعٌ منَ الغاوين؛ لترويج باطلهم، وتزيين ضلالهم، ولصرفِ النّاس عنِ الحقِّ المبين؛ فالاتِّباعُ متجدِّدٌ بتجدُّدِ الشُّعراء.

بلاغةُ اختيارِ مفردة ﴿يَتَّبِعُهُمُ﴾:

اتِّباعُ الغِوايةِ محاربةٌ للحقِّ ونُصرةٌ للباطل

آثَرَ النّظمُ الكريم استعمالَ مفردةِ الاتّباع في قول الله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾، دونَ مجرَّد الاستماع – والشِّعرُ يُسمع –، فلم يُقل: (يسمعهم الغاوون)؛ وذلك أنَّ المقصود بالسّياق هو بيانُ اتِّباع الغاوين لشُعراء الضّلالة، لا مجرَّد الاستماع؛ فهم يتّبعون غوايتَهم، ويسلكون طريقَ الضّلال معهم؛ لنشر فسادِهم، إذِ الاتّباع ميلٌ ورضًا بالمتبوع.

براعةُ اجتباءِ مفردة ﴿ٱلْغَاوُۥنَ﴾:

براعةُ الرَّسولِ من تُهْمَة الشِّعرِ، وتطهيرُ أتباعِه من تُهْمَة الغوايةِ

المقصودُ بالغواية: الإمعانُ في الفساد والإضلال، وقد آثَرَ النّظمُ استعمالَ مفردة ﴿ٱلْغَاوُۥنَ﴾ في قول الله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾؛ لبيان أنَّ الشّعراء تتّبعهم هذه النَّوعيّةُ منَ النّاس؛ ليقعَ التّفاضُل، وتبينَ المفارقةُ بينَ أتباع النّبيّ وأتباع الشّعراء على الحقيقة، مع ما فيها من إبطال كونِ الرّسول ﷺ شاعرًا، والرّدِّ على المشركين في زعمهم أنَّ الرّسول شاعرٌ، وأنّ ما تنزّل عليه من قبيل الشّعر، وجاء إبطالُ هذا الزّعم من خلال أتباعه؛ فأتباعُه ﷺ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 208.

لَيسوا غواة[1]، ومعلومٌ أنّ كلّ قرينٍ بالمُقارَن يقتدي، وأنّ المَرء على دين خليله؛ فلمّا كان أتباعُ النّبيّ ﷺ منَ الأطهار البَرَرَة، عُلِم علمًا يقينيًّا لا يخالجُه شكٌّ ولا ارتيابٌ أنّ النّبيّ ليس شاعرًا، فأفاد هذا اللّفظ أمرَين: تطهيرَ النّبيِّ ﷺ منَ الاتِّهام بأنَّه شاعر، وتطهيرَ أتباعِه رضوان الله عليهم من تُهْمَة الغِوايَة.

نُكْتَةُ جمعِ اسمِ الفاعل ﴿ٱلْغَاوُۥنَ﴾ وتعريفِه باللّام:

كـثرةُ النّـاس محلٌّ للغِوايَة

جاء اسمُ الفاعل (غاوٍ) مجموعًا ومعرّفًا بـ(أل) في قول الله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾، و(أل) هنا لتعريف الجنس[2]، والجمع فيه إشارةٌ إلى كثرة الغواة منَ النّاس، وأنَّ الشّعراء الضّالّين لا يَعْدِمون أن يكونَ لهم نُصراءُ كُثُر من أهل الضّلال، ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف: 103]، والغاوون هم الضّالّون المائلون عنِ السّنن الأقوم، إلى الزّنا والفُحش، وكلِّ فسادٍ يَجُرُّ إلى الهلاك[3]؛ وما أكثرَ هؤلاء في كلِّ زمان ومكان!

بلاغةُ الكنايةِ التّعريضيَّة في الآية:

التّـابع كاشفٌ عـن مواصفات متبوعِه

لم يَذُمَّ النَّظمُ الحكيم الشّعراءَ صراحةً في قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾، وإنّما ذَمَّهم من خلال أتباعِهم، حيثُ وصَفَهم بأنّهم غاوون، وهذا يستلزم أن يكون الشّعراء غاوين، بل هم أغوى من أتباعِهم؛ لِتَهَتُّكِهم في شهوة اللَّقْلَقَة باللّسان، حتّى حسَّن لهم الزّورَ والبُهتان[4]؛ وهذا تعريضٌ حسَنٌ، وإذا جعلناه كنايةً، أي: كَنَّى عن غواية الشّعراء باتِّباع الغاوينَ إيّاهُم[5]، فهي كنايةٌ تعريضيَّة؛ لأنَّ التَّعريض نوعٌ من أنواع الكناية.

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 152.
(2) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 11/ 444.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 5/ 400.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 5/ 400.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 210.

بلاغةُ الاستفهامِ الدّاخل على فعل الرُّؤية:

تقريرُ اعتسافِ الشّعراء طُرقَ الضَّلالةِ

الاستفهامُ في قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ استفهامٌ تقريريٌّ[1]، يُقرِّر أنَّ الشّعراء في أودية الضّلالة يهيمون، وفي فنون القول يغالِطون ويعتسفون، والخطابُ الاستفهاميُّ وإن كان في الظّاهر للنّبيِّ ﷺ، إلّا أنَّه لكلِّ مَن تتأتّى منه الرّؤيةُ؛ دلالةً على أنَّ حالَهم كان منَ الجَلاء والظُّهور، بحيثُ لا يَختصّ برؤيته راءٍ دونَ آخَر[2]، والرُّؤية هنا قلبيّةٌ، لأنَّ الهُيامَ والوادي مستعملان في معاني اضطرابِ القولِ في أغراض الشّعر، وذلك ممّا يُعلَم لا مما يُرَى[3].

بلاغةُ التّوكيد بـ(أنَّ):

التّوكيدُ وسيلةٌ من وسائلِ تقوية المعاني

جاءت جملةُ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ مؤكَّدةً بأداة التّأكيد (أنّ)، ومعلومٌ أنَّ التّأكيد يُقَرِّر المعانيَ ويُرَسِّخُها في النّفوس، ويبعدُها عن أن تكون مجالًا للشّكوك؛ لذا آثَرَ النّظمُ تقريرَ أنَّ الشّعراء يتيهون في أودية الضّلالات، ويرتعون في حَمَأة المُنكرات، باستثناء صالح الشّعراء.

فائدةُ حرفِ الظّرفيّة:

الإشارةُ إلى تغلغُل الشّعراء في الضّلالة والفساد

أفاد حرفُ الظّرفيّة ﴿فِي﴾ غرَضًا مقصودًا في قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾، وهو إفادةُ أنَّ الشّعراء توغَّلوا في متاهات الضّلالة، وتغلغَلوا في سراديبها، لدرجة أنَّهم ذابوا فيها، وانصهروا في بوتَقَتِها، فاشتملت عليهم اشتمالَ الظّرف على المظروف؛ وهذا يُنبِئ عن تضلّعهم وتشبُّعهم في طُرُق الغِواية.

فائدةُ استعمالِ لفظِ العموم ﴿كُلِّ﴾:

تنوّعُ الأغراضِ الشّعريّة، وكثرةُ المقاصدِ الإفساديَّة

دلَّ لفظُ العموم ﴿كُلِّ﴾ في قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ على تنوُّع الأغراض الشِّعريَّة، منَ المدح والثّناء والنّسيب

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 209.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 270.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 209.

والهِجاء، وعلى كثرة طُرق الضّلال والفساد التي يسلُكها الشّعراءُ في أشعارهم؛ فهم إذا نظموا قلَبوا الحقائقَ، وأتَوا بالبوائق، فيَمدحون مَن يستحِقّ الذَّمَّ، طمَعًا في نَواله، ورغبةً في وِصالِه، ويَذمّون مَن يستحِقّ المدحَ؛ لهوًى في نفوسهم، ويُبَخِّلون الكريمَ، ويُسَخّون الشّحيحَ، ويَهتِكون الحُرُماتِ، بفاضح الادّعاءات.

بلاغةُ الاستعارة في ﴿وَادٍ﴾:

أبلغُ الاستعاراتِ ما صَوَّرتِ المعاني وقَرَّبتِ الدّلالات

أصلُ الوادي: هو المكانُ المنخفضُ بينَ جبلَين[1]، والمراد به في قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ شُعَبُ القولِ وفنونُه وطُرُقُه وشجونُه، والهُيام: أن يذهب المَرءُ على وجهه من عِشقٍ أو غيرِه؛ فالهُيام في الأوديَة تمثيلٌ لذهابهم في كلِّ شُعب منَ القول[2]، والمعنى: (يخوضون في كلِّ لَغْوٍ من هَجْوٍ ومدح)[3]، وهذا من باب الاستعارة البليغة والتّمثيلِ الرّائع، شَبَّهَ جَوَلانَهم في أفانينِ القول، وطرائقِ المَدحِ والذَّمّ والتّشبيبِ وأنواعِ الشّعر - بِهَيْم الهائمِ في كلِّ وجهٍ وطريق[4]، وهذا يدلُّ على عدم وضوح مقاصدِهم، وإنّما يكتبون الشّعرَ حسبما تُمليه أهواؤهم، وتفرضُه عليهم مصالحُهم.

نُكْتَةُ تقديمِ شِبه الجملة ﴿فِي كُلِّ وَادٍ﴾:

تقديمُ الغايات على الوسائل من أساليب القرآن في كشف الحقائق

قُدِّم ﴿فِي كُلِّ وَادٍ﴾ على الفعل ﴿يَهِيمُونَ﴾ في قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾؛ اهتمامًا بالمُقدَّم، وتشويقًا إلى المُؤخَّر، فغرَضُ السّياق هو تبرِئَةُ النّبيّ ﷺ من كون القرآنِ شِعرًا، وبيانُ أنَّ تصرُّفاتِ الشّعراء مضطربةٌ ومتناقضة، من خلال الأغراض الشّعريّة التي ينظمونها في أشعارهم، فكان تقديمُ تلك الأغراض أحقَّ، وهي المُعَبَّر عنها بلفظ ﴿فِي كُلِّ وَادٍ﴾؛ وهذا من باب تقديم

(1) الرّاغب، المفردات: (ودى).
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 344.
(3) الشهاب الخفاجي، كفاية الراضي وعناية القاضي: 7/ 29.
(4) ابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 15/ 99.

الغايات على الوسائل، ثُمّ إنَّ في تقديمها تعجيلًا وإسراعًا بالكشف عن فنون تصرُّفاتهم، لبيان أنَّها مغايِرَةٌ للحَقّ الذي نزل على النّبيّ ﷺ، وفي التّقديم تشويقٌ يأخذ بالنّفس، ويجعلُها تترقّب الشّيء المُؤخَّر، فإذا ما وقعت عليه ثبتَ فيها واستقرّ، فتنكشفُ معه حقائقُ الشّعراء؛ بالإضافة إلى مراعاة جمالِ المَبنى، فتتآخَى الفواصلُ القرآنيّة المنتهيَةُ بحرف النّون، ليتآزرَ جمالُ المبنى مع جلال المعنى.

بلاغةُ استعمالِ مفردة ﴿يَهِيمُونَ﴾ مادّةً وصيغة:

الـشّـعـراءُ يَـضـدرون عن هـوًى جامِح، لا عن عقلٍ راجح

تدلُّ مفردةُ الهُيام على ذهاب الإنسان على وجهه، لا يَدري أين يقصِد[1]؛ فاستعمالُها في قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ يوضِّح أنّ الشّعراءَ يهيمون في أغراض الشِّعر، غيرَ قاصدين غايةً نبيلةً، بل غايةُ أمرِهم أن يَهيموا في الأرض غيرَ بالِغين مُرادًا، ولا واصلين هدفًا، ولا محقِّقين حقًّا.

وفي التّعبير بصيغة المضارع ﴿يَهِيمُونَ﴾ دليلٌ على أنَّ الشعراء هذا حالُهم المُستمرّ، وشأنُهم المُتجدِّد؛ فليس الهُيامُ أمرًا طارئًا، بل هو سلوكُهم المُتَجدِّدُ عن إرادةٍ وقصد.

نوعُ واوِ ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ ودلالتُها:

عـطـفُ الـدّلـيـل عـلـى الـدَّعـوى، والـبـرهـانِ على الوصف

الواوُ في قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ عاطفةٌ، حيثُ عطفت الجملةَ على قوله تعالى: ﴿أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾، ومقتضى العطف: الجمعُ بين تلك الرّذيلتَين، رذيلةِ "تخليطِهم وخوضِهم في كلِّ فنٍّ، من غَثِّ الكلام وباطله، وتحسينِهمُ القبيحَ، وتقبيحِهمُ الحسنَ"[2]، ورذيلةِ الكذبِ والتّبجُّح بأقوالٍ وأفعالٍ لم تصدُرْ عنهم، فيتكثَّرون بما ليس فيهم[3]؛ ترى الشّاعرَ قد يمدح

(1) الرّاغب، المفردات: (هيم).
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 246.
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 157.

الجودَ وهو أبخلُ النّاس، ويحضّ على الجُرأة في الوغى وهو أجبنُ من المنزوف ضَرطًا، فأفادت الواوُ ذكرَ الدّليلِ بعد ذِكر المستَدَلِّ عليه، فإنَّ هُيامَهم في كلِّ وادٍ أمرٌ وصفيٌّ، وأمّا قولُهم خلافَ فِعلِهم فهو الدّليل عليه.

دلالةُ تكرارِ (أنّهم):

استقلالُ توكيدِ مضمون الجملة يُـقـوّي إرادةَ معناها

آثَرَ النَّظمُ القرآنيُّ تكرارَ (أنهم) في جملة ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾، بعد جملة ﴿أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾؛ تحقيقًا لمضمون كلٍّ منهما، باستقلال كلِّ جملةٍ منهما بنفسِها، فيكون التَّأكيدُ لاحقًا لمضمون كلِّ جملةٍ باستقلال، تأكيدًا على أنَّ الشُّعراء سائرون في شعرهم بلا قصد، وأنّ فعلَهم مخالِفٌ لأقوالهم، ولو جاء التَّعبيرُ بحذفِ التَّأكيد في الثّانية، بأن قيل مثلًا: (ألم تر أنّهم في كلّ وادٍ يهيمون ويقولون ما لا يفعلون)، لم يكُن في قوّة تأكيدِ التَّعبير الأوّل.

بلاغةُ تقديم ﴿يَهِيمُونَ﴾ على ﴿يَقُولُونَ﴾:

الهُيامُ يَصْدُر عنِ النَّفس، فيتبعُه القولُ الصّادر عنِ العقل

ما يقتضيه ظاهرُ عقلِ البشر تقديمُ القولِ على الهُيام، لا سيما في جانب الشّعراء، الذين صنْعَتُهمُ الألفاظُ والأقوال، لكنّ المُتأمِّلَ في المعنى يجد أنّ السّياق هو الذي اقتضى تقديمَ الهُيام على القول في الآيتين: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۝٢٢٥ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾؛ إذ إنّ الهُيامَ صادرٌ عنِ النَّفس وهواها، والقولَ صادرٌ عنِ العقل وإرادته، فأبانتِ الآيةُ أنَّ الشُّعراءَ يُقَدِّمون هُيامَهم، فيجعلونَه قائدًا لعقلِهم؛ وهذا دليلُ سَخَفِهم، وقُبْحِ مسلَكِهم.

دلالةُ التّعبيرِ بالمضارع ﴿يَقُولُونَ﴾:

أكـثرُ الشّـعـراء أقـــوالٌ بـلا أفعال، وأشكالٌ بلا أرواح

دلّت صيغةُ المضارعِ في قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ على التّجدُّد الاستمراريِّ لتلك الأقوالِ الصّادرة عنِ الشُّعراء، دونَ أن يكون لها فعلٌ يطابقُها، وهذا التّجدُّد لا ينقطع، فالشُّعراء عن قول الشّعر لا ينتهون، وعن صَوغِ ما يُمليه عليهم

خيالُهم لا ينقطعون، يمدحون ويقدحون في آنٍ واحد، وفي شخص واحد، ترى أكثرَهم يُقدِّس في شعره الفضائلَ، ويأتي الرّذائلَ.

نوعُ ﴿مَا﴾ ودلالتُها:

﴿مَا﴾ في قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ اسمٌ موصول، والتّقدير: (يقولون الذي لا يفعلونه)، ودلالةُ الموصول أنّه اختزل في صيغته أقوالًا كثيرة، فأوجزها إيجازًا بليغًا، وطواها في تلك الصّيغة طَيًّا عجيبًا، لو أردتَ الإفصاحَ عنها لناءَ بها اللّسان، وضاقَ بها الجَنان؛ وهذا سِرٌّ عجيبٌ كامِنٌ في هذا الاسم.

الموصولُ يطوي في صيغته ما تَنوء به العباراتُ

نُكْتَةُ النَّفي بأداة ﴿لَا﴾:

﴿لَا﴾ النّافية في قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ تنفي الفعلَ الذي لم يُؤكِّد صاحبُه وقوعَه، ولم يُحقِّق حصولَه، فتأتي ﴿لَا﴾ دالَّةً على عدم وقوعِ الفعل في الحال والاستقبال.

تنفي (لا) وقوع الفعل في الحال والاستقبال

فائدةُ استعمالِ مفردة ﴿يَفْعَلُونَ﴾:

تُشير لفظةُ ﴿يَفْعَلُونَ﴾ في قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ إلى اعتباطيَّةِ وعشوائيَّةِ أفعالِ الشّعراء، فهم لا يَقصِدون الأفعالَ التي ذكروها في أقوالهم قصدًا، وليسوا حريصين على فعلها، بل غيرُ عابئين بمطابقتها لأقوالهم أو عدم مطابقتها؛ وإذا وقع منهم أيُّ فعلٍ، فليس فيه أثرٌ محمودٌ يُذكَر، فإنَّ أقوالَهم لا توافِقُ أفعالَهم العامَّة، فضلًا عن أعمالهم المقصودة، ففيه مزيدُ تبكيتٍ لهم، ورميُهم في زاوية الرّزايا.

أقوالُ الشّعراء لا توافِق الفعلَ غيرَ المقصود، فضلًا عنِ العمل المقصود

غرضُ حذفِ متعلّق ﴿يَفْعَلُونَ﴾:

حُذف متعلّق ﴿يَفْعَلُونَ﴾ في قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾، والتّقدير: (ما لا يفعلونه)، ونُكْتَةُ الحذف ترجع إلى غرضين؛ غرضٍ يتعلّق بالمعنى، وغرضٍ يتعلّق بالمبنى، فأمّا ما يتّصل بمعنى السّياق: فهو أنَّ الحذف إشارةٌ إلى عدم الاعتداد بتلك الأقوال

الحذفُ يراعي في السّياق معناه ومبناه

الجُزافيّة التي تُقال ولا تُفعل؛ فتركُها في السّياق تهوينٌ من شأنها، فلا تستحقّ أن يكون لها في الكلام ذكر، وأمّا ما يتعلّق بالمبنى: فإنّ هذا الحذفَ اقتضتْه الفاصلةُ القرآنيّة المختومة بحرف النّون، التي تركتْ جمالًا ملحوظًا في الأداء، نفتقدُه في حالة ذِكْر المحذوف.

نُكْتَةُ التّعبير بالمضارع ﴿يَفْعَلُونَ﴾:

أكبرُ المَقت عند الله قولٌ بلا فعل

أفادت صيغةُ المضارع في ﴿يَفْعَلُونَ﴾ من قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ أمرين؛ **الأوّل**: تجدّدُ عدمِ فعلِ الشّعراء لما يقولونه، فنفيُ وقوعِ فعلِهم مُتجدِّدٌ مع وقوع أقوالهم، وهذا منَ العَجب العُجاب، **والآخر**: استحضارُ فعلِ الشّعراء المُناقض لقولهم، زيادةً في التّبشيع والتّشنيع عليهم، وأيّ مَذمّة بعدَ قولٍ لا يصاحبه الفعل؟! فاجتمع عليهم عجبُ تجدُّدِ تركِ الأفعال، مع بشاعة المناقضة.

نوعُ الاستثناء بـ﴿إِلَّا﴾ ودلالتُه:

إنصافُ القرآنِ لشعراء المسلمين دليلُ ذمِّ المعاني الباطلة، لا المباني الفصيحة

الاستثناء في قول الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ تامٌّ موجَبٌ مُتَّصل، والمستثنى فيه يكون واجبَ النّصب، وهو نصبٌ مُقدَّر على الاسم الموصول اللّازم للبناء، ودلَّ الاستثناء على أنّه أنصف الشّعراءَ المؤمنين، وأخرجَهم من دائرة الشّعراء المذمومين؛ فاستثنى الشّعراءَ المؤمنين الصّالحين الذين يُكثرون ذِكْرَ الله وتلاوةَ القرآن، ويكونُ شعرُهم في توحيد الله والثّناء عليه، والحكمةِ والموعظةِ، والزّهدِ والآدابِ الحسنة، ومدحِ رسول الله ﷺ والصّحابةِ وصُلحاءِ الأُمّة، وما لا بأس به منَ المعاني التي لا يتلطّخون فيها بذنب، ولا يتلبّسون بشائنة ولا منقصة، وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممّن يهجوهم[1].

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 343.

غرضُ استعمالِ الاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

بـيـانُ عِـلَـلِ الاسـتـثـنـاءِ وسببِ الاجتباء

التّعبيرُ بالاسم الموصول في قول الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ﴾ أفاد علَّةَ استثناءِ الشّعراء المُتّصفين بالإيمان وعملِ الصّالحات وذِكْرِ الله كثيرًا، والانتصارِ منَ الظُّلم، فكأنَّه قيل: إلّا المؤمنين لأنَّهم آمنوا، وعملوا الصّالحات، وذكروا اللّهَ كثيرًا، وانتصروا دافعين الظُّلم عن أنفسهم.

بلاغةُ استعمالِ مفردة ﴿ءَامَنُواْ﴾ مادّةً وصيغةً:

تحقُّقُ الإيمانِ سبيلُ الانقيادِ ورفعةُ الأتقياء

مادّةُ الإيمانِ اقتضاها سياقُ المدح لشعراء المسلمين في قول الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ﴾؛ فدلالتُها تعني إذعانَ النّفسِ للحقّ على سبيل التّصديق، وذلك يكون اعتقادًا بالجَنان، وقولًا باللّسان، وعملًا بالجوارح والأركان[1]؛ وهذا ما كان عليه شعراء المسلمين، وصيغ التّعبيرُ بالماضي لِما دلَّ عليه المُضيُّ من تحقيق إيمانهم ووقوعه؛ وهذا يكشف عن سرعة استجابتهم لنِداء الإيمان.

بلاغةُ استعمالِ لفظِ العمل ﴿وَعَمِلُواْ﴾:

يُـمـتـدَح الـصّـالـحـون بـأعـمـالٍ مقصودة، ونوايا محقَّقة

آثَرَ النّظمُ الحكيم وصفَ الشّعراء المؤمنين بفعل العمل في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ دون الوصفِ بالفعل، كما وصف الشّعراء المذمومين في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ﴾؛ وذلك لبيان أنَّ المؤمنين يقومون بأعمالهم عن قصدٍ ونيَّة واضحة، وأنَّ مدحَ الله لهم كان بسبب أعمالهم العظيمة وسلوكيّاتِهم الجليلة.

دلالةُ اختيارِ لفظ ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾:

اقترن لفظُ العملِ بالصّالحات في القرآن الكريم، فأصبح مقاربًا

(1) الرّاغب، المفردات: (أمن).

للتّركيب العلميّ، والمقصودُ بالصّالحات: الأوصافُ الشّرعيّةُ التي ارتضاها الشّرعُ الحكيم للعِباد، ليداوِموا عليها في الأوقات كلِّها، وهي الدّرجة التي ارتضاها الشّرع من عموم المؤمنين، فكان ذِكر عملِ الصّالحات في سياق قول الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ لبيان أنَّ الشّعراء المؤمنين داخلون في عموم العِباد المَرضيّين عند ربِّ العالَمين.

الـصّـالـحـاتُ وصْـفٌ مختصٌّ بالأعمال المَرْضيّة

نوعُ عطفِ الذّكر على عمل الصّالحات:

الواو في ﴿وَذَكَرُواْ﴾ من قول الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ عطفت ذِكْرَ الله تعالى على عمل الصّالحات، وهو من عطف الخاصّ على العامّ، لأنَّ عمل الصّالحات عامٌّ يدخل فيه الذِّكر؛ ووجهُ ذِكر الخاصّ: بيان أنَّ الشّعراء المؤمنين يذكرون اللّهَ كثيرًا، أكثرَ من ذِكر بقيَّة الشّعراء لَمدوحيهم.

عـطـفٌ للسّبب عـلـى المُـسبَّـب، أو الـخـاصّ على العامّ

نُكْتَةُ إظهارِ اسمِ الجلالة ﴿وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ﴾:

الاسمُ الأعظم في قوله تعالى: ﴿وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾، هو الذي تَلهَج به الألسنةُ بالذّكر، وتخفِقُ القلوبُ له بالشُّكر، بما فيه من دلالات تَحْمِل اللّسانَ والجَنان حملًا على الذِّكر، فالإنسانُ يستشعر بهذا الاسم استحقاقَ مسمّاه سبحانه للحمد والثّناء، إذِ اسمُ (الله) علمٌ على الذّات الإلَهيّة، الموصوفِ بأكمل الصّفات، فهو المعبودُ، القادرُ، الخالقُ، الرّازقُ، المُدبّرُ لشؤون العباد[1]، وآثَرَ النّظمُ الإتيانَ بهذا الاسم دونَ سواه من أسماء الله الحسنى؛ لأنَّه الأكثرُ دوَرانًا على الألسنة، ولأنّ أكثرَ الألسنة تمجيدًا له هي ألسنةُ شعراءِ المؤمنين.

أكـثـرُ الألـفـاظ دورانًـا عـلـى ألسنة الشّعراء المؤمنين هو اسمُ الله الأعظم

بلاغةُ حذفِ موصوفِ ﴿كَثِيرًا﴾:

حُذف الموصوفُ في قول الله تعالى: ﴿وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾، والتّقدير: (وذكروا اللّهَ ذِكْرًا كثيرًا)؛ وذلك أنَّ المقامَ هو مقامُ ذِكْر

ذِكْرُ الله يَرِدُ على ألسنة الشّعراء فـي غـالـب مقاماتهم

(1) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (أله).

الشّعراء المؤمنين، وهم يذكرون الله بقلوبهم وألسنتهم، ويذكرونه في أشعارهم[1]، ولو ذُكر الموصوف، فقيل: (ذكرًا كثيرًا)، لظُنَّ أنَّهم يذكرونه كما يَذْكره بقيَّةُ العِباد، لكنَّ الشّعراءَ المؤمنين يُكثِرون من ذِكْر الله في جميع مقاماتهم وأحوالهم بقول الشّعر وترداده، فكان حَذْفُ الموصوفِ لتمحُّض الأمر على الصّفة وهي الكثرة، فهم يذكرونه كثيرًا في جميع أوقاتهم.

براعةُ وصفِ الذّكر بالكثير:

صار الذّكر لهم خُلُقًا وعادةً، ودَيْدَنًا وسَجيَّة

وُصِفَ الذِّكْر بالكثير في قول الله تعالى: ﴿وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾؛ ليَدلَّ على أنَّ هذا صار لهم خُلُقًا وعادةً[2]، وكشفٌ عن دوام الذّكر الذي صار لهم دَيْدَنًا وسَجيَّة.

بلاغةُ عطفِ الانتصار على ذِكْر الله:

الانتصارُ من بعد الظُّلم هو إعلاءٌ لكلمة الله تعالى

عَطف النّظمُ القُرآنيُّ الانتصارَ على ذكر الله في قوله تعالى: ﴿وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۚ﴾، وهو من عطف الأخصّ على الخاصّ؛ فإنَّ ذِكر الله تعالى منَ الأعمال الصّالحة، وانتصارُ الشّعراءِ المؤمنين بشِعرهم لنُصرة دينِ الله وإعلاءِ كلمته سبحانه، هو نوعٌ من ذِكر الله تعالى، إذ ظلمُهم ما كان إلّا لأنَّهم مؤمنون بالله تعالى، يذكرونه ويدْعون إلى دينه، فكان ذِكْر الانتصارِ بيانٌ واضحٌ على أنَّ الشُّعراء لهم دورٌ كبير في الانتصار لدين الله تعالى، وإعلاءِ كلمته فوقَ كلِّ كلمة ورايَة.

نُكْتَةُ اختيارِ (انتصر) مادّةً وصيغةً:

نصرُ الله تعالى يَنزِل على طالبه نزولَ الغيث منَ السّماء

الانْتِصارُ والاسْتِنْصارُ: طلبُ النُّصْرة والعَون[3]، ونَصَرَهُ اللهُ: أعانَه على عَدوِّه؛ فدلَّت مفردةُ الانتصار بهذه الصّيغة في قول الله تعالى: ﴿وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۚ﴾ على أنَّ شعراء المسلمين طلبوا

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 176.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 202.
(3) الرّاغب، المفردات: (نصر).

العَون من اللّه تعالى بأنْ ينصُرَهم على أعدائهم، وأنَّ اللّه أعانهم فانتقموا منهم، وردّوا هجاء المشركين بهجاء أقذع، وثلبٍ ألذَع، وشَتمٍ أوجع، وهذا، وإن كان مفهومًا منَ الدّلالة اللّغويّة للكلمة، فإنَّ حدوثَه وحصوله وتحقُّقَه مفهومٌ من صيغة الماضي.

غرضُ حَذفِ متعلّق فعلِ الانتصار:

أماراتُ العمومِ أشفى للنَّفس مـنَ التّقييد بالمَذكور

لم يُعيِّن النّظمُ الكريم في قوله تعالى: ﴿وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۚ﴾ ممّا كان الانتصار، فلم يقل: (انتصروا لدينهم أو لأنفسهم)؛ وذلك لإفادة العموم والشّمول، فالحَذْفُ أعطى للمعنى ثراءً؛ لبيان أنَّ انتصار شعراءِ المسلمين كان من أجل الدّين، والذَّبِّ عن حياضه، أو من أجلِ رَدِّ المَسَبَّة عن رسول اللّه ﷺ وعنِ الصّحابة، أو مِن أجل التّشفّي منَ الخَصم؛ ولو ذُكِر متعلّق الفعل، لضاق المعنى، وانحصر في المذكور.

دلالةُ دخولِ ﴿مِنۢ﴾ على ﴿بَعۡدِ﴾:

الانتصارُ يكون بَـعـدَ وقـوعِ الظُّلم

حرفُ ﴿مِنۢ﴾ في قول اللّه تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۚ﴾ للابتداء، أي: انتصروا ابتداءً من بعد وقوعِ الظُّلم، فشُعراءُ المسلمين ما هجَوا شعراء المشركين إلّا بعدَ أن وقع عليهم الظُّلم، ودلّ لفظُ ﴿بَعۡدِ﴾ الذي هو بمعنى الظّرفيّة على أنَّ شعراء المسلمين في هذا الانتصار غيرُ معتدين، وإنّما كان انتصارُهم رَدًّا لطُغيان طاغٍ، وعداوةِ مُعتدٍ.

عِلّةُ استعمالِ ﴿مَا﴾ المصدريّة:

بيانُ الأسبابِ مُسوِّغٌ للأفعال

عبَّر النّظمُ الكريم بـ﴿مَا﴾ المصدريّة في قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۚ﴾، ولم يُعبِّر بالمصدر الصَّريح، فلم يقل: (من بعد ظلمهم)؛ لبيان أنَّ ظُلْم شعراءِ المشركين لشعراء المؤمنين وقع أوّلًا، ممّا سوّغ النُّهوض بردِّ المثالب، ودفعِ المعايب، والانتقاصِ من أعدائهم، أمّا التّعبيرُ بالمصدر الصّريح، فإنَّه - وإن كان أثْبتَ لمعنى الظُّلم - إلّا أنَّه لا يَدُلُّ ظاهرًا على حصوله في الماضي، كما أنّ في التّعبير بالمصدر

المُؤوّل ﴿من بعد ما ظُلِمُواْ﴾ إبرازٌ لصيغة الماضي، الدّالّةِ على تحقّق الظّلْم ووقوعِه، وإبرازٌ أيضًا لصيغة البناء للمفعول، الّتي ترفع اللّبس المحتمَلَ في استعمال المصدر الصّريح (من بعد ظلمِهم)؛ فالظُّلم وقعَ على الشّعراء المؤمنين، ولم يقعْ منهم، وفي المصدر المُؤوّل ﴿مَا ظُلِمُواْ﴾ أيضًا مراعاةٌ لاتّساق الآية في الأفعال الماضية المُسنَدة إلى واو الجماعة: ﴿ءَامَنُواْ﴾ ﴿وَعَمِلُواْ﴾ ﴿وَذَكَرُواْ﴾ ﴿وَٱنتَصَرُواْ﴾.

فائدةُ بناءِ الفعل ﴿ظُلِمُواْ﴾ للمفعول:

أفاد حذفُ الفاعلِ إيجازَ العبارةِ، والاستهانةَ بالمحذوف والازدراء به

بناءُ الفعل ﴿ظُلِمُواْ﴾ للمفعول في قول الله تعالى: ﴿وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ أفاد أمرَين؛ أحَدهما: إيجازُ العبارة وإحكامها، والآخَر: أنّ حذفَ الفاعلِ منَ البناء للمفعول يُفيد الاستهانة بالمحذوف والازدراءَ به، والاستخفافَ من شأنه.

نوعُ واوِ ﴿وَسَيَعۡلَمُ﴾ ودلالتُها:

استئنافُ معنًى جديدٍ يُرهِبُ الظّالمين

الواو في أوّل قولِ الله تعالى: ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾ استئنافيّةٌ[1]؛ فهي تستأنِفُ معنًى جديدًا يُرْهِبُ الظّالمين، وهو تهديدُهم بأنَّ هناك منقلبًا يسوؤهم، وعقابًا مُبهمًا لا يُدرَك كُنْهُه ينتظرهم.

دلالةُ استعمالِ حرف السّين مع الفعل ﴿وَسَيَعۡلَمُ﴾:

مهما تطاولَ الظّالِمُ فعقوبتُه قريبة

السّينُ حرفُ تنفيس دالٌّ على الاستقبال القريب؛ وآثَرَه النّظمُ الحكيم في قوله تعالى: ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾؛ للدّلالة على اقتراب المُتوعَّد به منَ العذاب المُبهَم الذي لا تُدرَك صفتُه، والانقلابِ المُنكَرِ الذي لا تُعرَف سطوتُه وقَسْوَته، فهو حرفٌ مُؤذِنٌ بالاقتراب، وبأنّ سوءَ المُنقلَبِ يترقّب الظّالمين لأجل ظلمهم[2]، والجملة التي دخل عليها السّينُ جملةٌ خبريّة، غرَضُها التّهديدُ

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 147.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 213.

الشّديدُ، والوعيدُ الأكيد؛ فالوعيد والتّهديد مستفادان من استعمال حرفِ السّين، ومنَ الإطلاق والتَّعميم في الفعل ﴿ظُلِمُواْ﴾، والإبهام في ﴿أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾، أي: بعدَ الموت منَ الإيهام والتّهويل[1].

بلاغةُ استعمالِ الاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

يحسُن التَّهديدُ ببيان سببِ عقوبة الظّالمين

التَّعبير بالاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في قول الله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ أوسع معنًى ممّا لو عُبِّر بالاسم الصّريح (وسيعلم الظّالمون)، فيدخل فيهم جميعُ الظّالمين الذين يَسمَح بدخولهم السّياقُ، فالآية تتناول كلَّ من وقع منه ظُلمٌ، ولو عَبَّر بالاسم الظّاهر لضاق المعنى عن ذِكْر هؤلاء؛ ولِتكونَ صلةُ الموصول علَّةً للتَّهديد، ثمّ إنّ التّعبير بالموصول معَ الظّالمين ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ بالبناء للفاعل، يُناسِبُ التّعبير بالموصول معَ المؤمنين ﴿وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ بالبناء للمفعول.

بلاغةُ الإبهام في استعمال ﴿أَيَّ﴾:

إبهامُ العقابِ أبلغُ في الوعيد، وأشَدُّ في التّهديد

الإبهامُ بـ﴿أَيَّ﴾ في قول الله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ فيه وعيدٌ وتهويل[2]، وهو ناطقٌ بما لا شيءَ أهيَبُ منه وأهولُ، ولا أنكى لقلوب المُتأمّلين، ولا أصدعَ لأكباد المُتدبِّرين[3]، وعدمُ ذِكْر عقابٍ مُعيَّن أبلغُ في الوعيد، وأعظمُ في التّهديد؛ "لِتذهبَ نفوسُ الموْعَدين في كلِّ مذهبٍ ممكنٍ، من هول المُنقلَب"[4].

دلالةُ إضافةِ ﴿أَيَّ مُنقَلَبٍ﴾:

لفظةُ ﴿أَيَّ﴾ مبهمةٌ، وأُضيفت إلى نكرةٍ في قول الله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾، والتّنكيرُ فيه تهويلٌ من سوء المُنقلَب، وإبهامٌ ناجِمٌ عن دلالة الشّيوع؛ فالإضافة إبهامٌ فوقَ

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 345، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 152.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 345، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 152.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 345.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 213.

إبهام، و﴿أَىَّ﴾ هنا فيها معنى الاستفهامِ الإنكاريّ، الذي يُفيد بأنَّه ليس لهم وجهٌ من وجوه النّجاة[1].

نُكْتَةُ استعمالِ المصدرِ الميميّ ﴿مُنقَلَبٍ﴾:

المصدرُ الميميّ أقوى في الدّلالة من المَصدَر الأصليّ

لفظ ﴿مُنقَلَبٍ﴾ في قول الله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ مصدرٌ منصوبٌ بالفعل ﴿يَنقَلِبُونَ﴾، مُقدَّمٌ من تأخير، والأصل: (ينقلبون أيَّ انقلاب)[2]، أو هو صفةٌ لمصدر محذوف، أي: (ينقلبون انقلابًا أيَّ منقلب)[3]، والمصدرُ الميميّ له مزيّةٌ يمتاز بها عنِ المصدر الأصليّ، فهو يُؤدّي ما يُؤدّيه المصدرُ الأصليّ منَ الدّلالة على المعنى المُجرّد، لكنّه يفوقُه في قوّة الدّلالة وتأكيدِها[4]؛ وبهذا تتكشّفُ نُكْتَةُ التّعبير به؛ وهو التّأكيد على وقوع هذا المنقلَبِ السَّيِّئ، المُعدِّ للظّالمين في الآخرة.

دلالةُ الفعلِ ﴿يَنقَلِبُونَ﴾ مادّةً وصيغةً:

الانقلابُ انتكاسٌ وصرفٌ وتحوّلٌ مبهَمُ الكيفيَّة والنَّوعيّة

الفعل ﴿يَنقَلِبُونَ﴾ من قول الله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ مضارعٌ، وهو منَ الانقلاب، أي: الائتفاكُ، يقال: انقلبت بهِمُ الأرضُ، أَي: ائْتَفَكَتْ[5]، والانقلاب: الصَّرف، يُقال: اقْلِبْهم، أَي: اصرِفهم إلى منازلهم، والانْقِلابُ إلى الله ﷻ: المصيرُ إليه، والانقلاب: التَّحَوُّلُ[6]، فمن خلال تلك الدّلالات يتبيّن هولُ هذا المَنقلب، الذي لا يعرف كُنْهَهُ إلّا الله، فلو راعينا معنى الائتفاك؛ لدَلَّ على أنّ الظّالمين ستُنَكَّسُ رؤوسُهم في هذا الدّركِ المُنتَظَر؛ وإذا راعينا معنى الصّرفِ والتّحوّل والمصير إلى الله، لجاز أن نقول: إنَّ

(1) القونويّ، حاشية على البيضاويّ: 14/ 333.
(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 4/ 394.
(3) زكريا الأنصاريّ، إعراب القرآن العظيم، ص: 423.
(4) عبّاس حسن، النّحو الوافي: 3/ 231.
(5) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (قلب).
(6) ابن منظور، لسان العرب: (قلب).

اللّه ﷻ سيُحَوِّل الظّالِمين ويصرفُ وجوهَهم إلى حمأة هذا المُنْقَلَب؛ فاللّفظة بجميع دلالاتها مُخيفةٌ مُرعِبةٌ.

غرضُ حذفِ متعلّق ﴿يَنقَلِبُونَ﴾:

في الحذف تذهبُ النّفسُ كلّ مذهبٍ

حُذِفَ متعلّقُ الفعلِ ﴿يَنقَلِبُونَ﴾ من قول اللّه تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾؛ لتذهبَ النّفسُ كلَّ مذهبٍ في تقدير الشّيء الذي ينقلبون إليه، ففيه تهويلٌ شديدٌ لهذا المصير المُبهَم، فجائزٌ أن يكون التّقدير: (ينقلبون إلى اللّه انقلابًا أيَّ منقلبٍ، فيجازيهم على ظُلْمهم)، ويجوز أن يكون الانقلابُ إلى جهنّم.

فائدةُ الجِناسِ في ﴿مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾:

تحريكُ الأذهان لترسيخ المعاني في النّفوس

الجِناسُ في قوله تعالى: ﴿مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ جِناسٌ اشتقاقيٌّ، وفائدتُه: التّأثيرُ على السّامع تأثيرًا يَحْمِلُه على المَيل والإصغاء بما يكون فيه من دَنْدَنةٍ ناجمةٍ عن جَرَس الكلمات، فيتوهّمُ السّامعُ أنَّ الكَلِمَتَين المُتشابهتَين بمعنًى واحدٍ، فيفاجَأ بأنَّ كلَّ كلمة تُؤدّي معنًى آخر؛ ففيه من تحريك الأذهان ما يُرَسِّخ المعنى في النّفس.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والثلاثون،
سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 39 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-84-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 39 : المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-84-6
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8468153 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»